

المؤتمر العالمي الثامن للوحدة الإسلامية

ـ(546)ـ عند هبوط جبرائيل؟ فقال: "لا، إنَّ جبرائيل كان إذا أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يدخل عليه حتَّى يستأذنه، وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنَّما ذاك عند مخاطبة الله عزَّ وجلَّ إيَّاه بغير ترجمان وواسطة"(1). والجدير بالذكر في هذا المقام أنَّ الكثير ممَّا يروى في كَيْفِيَّة بدء نزول الوحي عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حالة الهلع التي أُصيب بها، ولجؤه إلى خديجة التي هدَّتْه من روعه واكتشفت نبوَّته أو عرضت قضيته على ورقة بن نوفل أو غيره من الأحرار والرهبان، هو ممَّا لا يمكن القبول به، ولا يتصورُ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شاكِّلاً في نبوته ولا جاهلاً بالوضع الذي هو عليه حتَّى يطمئنَّه أمثال هؤلاء، هذا إضافة إلى تهافت تلك النصوص وتناقضها، وضعف أسانيدها. والثابت أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان منذ اللحظة الأولى على بيَّنة من أمره، وهل يختار الله تعالى لرسالته وثقلها إلاَّ من صُنِع على عينه وهُيِّئَ لحملها؟! وهذا الأمر يجري في كلِّ وحي يوحى، فلا يتصورُ موحى إليه شاكِّلاً في أنَّ الذي نزل عليه هو الوحي. وقد التفت السني لأشكال الوارد على روايات البخاري فقال: "مقتضى جواب خديجة والذهاب إلى ورقة أنَّ هذا كان منه على وجه الشكِّ"، وهو مشكل بأنَّه لما تمَّ الوحي صار نبياً، فلا يمكن أنَّ يكون شاكاً بعد نبوَّته، وفي كون الجائي عنده ملكاً من الله وكون المنزل عليه كلام رب العالمين"(2). والصحيح أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم ينزل عليه الوحي إلاَّ بعد أنَّ تربيته دقيقة وأُعدَّ لتحمل هذه المسؤولية العظمى، وقد كانت الكرامات الكثيرة التي ظهرت له ورويت عنه تشكل إرهاباً للنبوَّة، بحيث إنَّه عندما نزل عليه الوحي كان على بيَّنة _____ 1 - بحار الأنوار 18: 260، المجلسي، كمال الدين: 85، الصدوق، التمهيد في علوم القرآن 1: 64، معرفة. 2 - حاشية السني بهامش البخاري 1: 3، ط. سنة 1309 هـ.